أَهْدافُ ذِكْرِ النُّجُومِ والكَواكِبِ في القُرآنِ الكَرِيمِ

م.م. رزاق مهدي حمادي
كليةَ التربيةَ - جامعةَ بغداد

فحوى البحث

اشار القران الكريم الى الكواكب والنجوم، وركزت الآيات المباركة على الشمس والارض والقمر؛ لان الاصل في وجودهما خدمة الانسان، وكشفت الآيات بعض الحقائق العلمية لها، وذكرت آيات اخرى الاهداف من ذكرهما، كمعرفة السنين والحساب، وبينت اخرى اختصاص بعضها بخصائص ومميزات، كاختصاص الارض لسكن الإنسان، وتكلمت الآيات الاخرى عن جملة من خصائص الارض ,كسمائها ,وسهلها, وجبالها, ومائها, ليلها ونهارها...، وتكرر في القران كلمة (سخر) عند ذكر الشمس والقمر، عسى ان يتفكر الانسان في هذا الكون عظيم الخلق، فيقر لخالقه بالعبودية، ويشكر الله على نعمه العظيمة، فالكواكب والنجوم مخلوقات عظيمة الخلقة؛ ولعظمتها ذكر سبحانه وتعالى اسماء بعضها كالطارق ونجم الشعرى، وذكر سبحانه باقي الكواكب والنجوم اجمالا، وقد كرس السيد الباحث حديثه في الاهداف والغايات التي من اجلها شغلت هذا الحيز الكبير من القران الكريم، واهاب بالانسان ان يتفكر في هذه النجوم التي ملأت السماء ليصل عن علم الى عظمة الله سبحانه، وان يوقن ان في الكون اسراراً عظيمة ما عليه الا ان يبحث فيها عسى ان يصل الى بعضها منتفعا مما جاء في القران من اشارات.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الكواكب والنجوم من اهم الامور التي شغلت الانسان قديما وحديثا، فكل ما يدور من امور في السماء كان محط خوف واعجاب له، فالإنسان كان يراقب الشهب وهي تُقذَف في السماء، ويراقب المراحل التي يمر بها القمر، وكيف انه يغيب فجاءة كما تغيب الشمس (الخسوف والكسوف) مما دفع بعض الناس وبتزيين من الشيطان باتخاذ بعض النجوم والكواكب الها من دون الله بدافع الخوف والرجاء، وكان دور الانبياء كبير في اقناع المشركين بترك ما سوى الله، ولم يغفل القران الكريم ذكر النجوم والكواكب فقد ذكرهما كثيرا، وقد علل اغلب الباحثين تكرار ذكرهما في القران الى اظهار الاعجاز العلمي، وتذكير الناس ببعض الحقائق التي تخصهما ولم يركزوا على باقي الاهداف، لذا حاولت في بحثي هذا ان اسلط الضوء على جملة من الاهداف والغايات والاسباب التي من اجلها ذكرهما القران ما استطعت، فقسمت البحث على مبحثين، الاول يتعلق في اهم الاهداف والغايات التي من اجلها ذكر سبحانه الكواكب والنجوم، كالدلالة على التوحيد، وبيان عظمة الله، واظهار الاعجاز العلمي، وتفسير بعض الحقائق العلمية للناس للاعتبار وليزول عنهم الجهل، اما المبحث الثاني فتناولت فيه فوائد النجوم والكواكب للإنسان التي اشارت اليها الآيات المباركة، كاستفادة الناس من النجوم في علم التنجيم، وتعليم الناس النظام والدقة اعتبارا بدقة نظام الكون، واظهار مكانة آل البيت الذين هم النجوم المضيئة في ظلمات الجهل، وذكر فوائد النجوم العظيمة لمعرفة بعض الاحداث المهمة المرتبطة بالوقت، كحلول شهر الصيام والحج اللذين ارتبطا بحركة القمر، وارتباط النجوم بأهم الاحداث المستقبلية، فوقت حدوث القيامة مرتبط بزوال الكواكب والنجوم، التي احد اهم علاماتها، واعتمدت في شرح الآيات مصادر التفسير المعتبرة، وبعض كتب الاعجاز العلمي، والله ولي التوفيق.

المبحث الاول:

اهم الاهداف والغايات الاساسية:

للكلام عن النجوم و الكواكب لابد لنا من معرفة الفرق بينهما، إنّ الأولى شموس كشمسنا، والثانية عبارة عن أجسام باردة كالأرض، تنعكس عليها أشعة الشمس فتضيء، ويمكن تمييزها على صفحة السماء بثبوت نورها، في حين تكون النجوم متلألئة بالنور[1]، وورد ذكرهما في القران كثير، ويمكننا ان نذكر جملة من الاهداف والغايات لذلك:

التأكيد على ان الله هو الخالق:

اكد سبحانـه وتعالى على انه هو الخالق فقال ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾ [سورة الطلاق: ١٢]، دل على كمال قدرته وأنه يقدر على البعث والمحاسبة ولا خلاف في السماوات أنها سبع بعضها فوق بعض دل على ذلك حديث الإسراء وغيره ثم قال {ومن الأرض مثلهن} يعني سبعا واختلف فيهن على قولين: أحدهما -وهو قول الجمهور أنها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والسماء وفي كل أرض سكان من خلق الله وقال الضحاك: {ومن الأرض مثلهن} أي سبعا من الأرضين ولكنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السماوات، والأول أصح لأن الأخبار دالة عليه في الترمذي و النسائي وغيرهما وقال أبو نعيم: هذا حديث ثابت من حديث موسى بن عقبة تفرد به عن عطاء روى عن ابن أبي الزناد وغيره وفي صحيح مسلم عن سعيد بن زيد قال: [سمعت النبي ﷺ يقول: من أخذ شبرا من الأرض ظلما فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين] ثم قال {يتنزل الأمر بينهن} قال مجاهد: يتنزل الأمر من السماوات السبع إلى الأرضين السبع وقال الحسن: بين كل سماءين أرض وأمر والأمر هنا الوحي في قول مقاتل وغيره وعليه فيكون قوله: {بينهن}

(١) تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، (ج ١٩/ ص ٤٦٠).

إشارة إلى بين هذه الأرض العليا التي هي أدناها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها وقيل: الأمر القضاء والقدر و هو قول الأكثرين فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى: ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ إشارة إلى ما بين الأرض السفلي التي هي أقصاها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها وقيل: {يتنزل الأمر بينهن} بحياة بعض وموت بعض وغنى قوم وفقر قوم وقيل: هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء ويخلق الحيوانات على اختلاف أنواعها وهيئاتها فينقلهم من حال إلى حال[٢] اما الغاية من هذا الخلق فهي لأجل أن يعرفه العباد ويعلموا إحاطة قدرته بالأشياء كلها، وإحاطة علمه بجميع الأشياء فإذا عرفوه بأوصافه المقدسة وأسمائه الحسنى وعبدوه وأحبوه وقاموا بحقه، فهذه الغاية المقصودة من الخلق والأمر معرفة الله وعبادته، فقام بذلك الموفقون من عباد الله الصالحين، وأعرض عن ذلك، الظالمون المعرضون[٣]، واقترن ذكر صفة الخلق بصفة القدرة، فهو الذي يدخل الليل بالنهار ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [سورة الزمر: ٥]، أي هو القادر على الكمال المستغني عن الصاحبة والولد ومن كان هكذا فحقه أن يفرد بالعبادة لا أنه يشرك به ونبه بهذا على أن له أن يتعبد العباد بما شاء وقد فعل وقوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ قال الضحاك: أي يلقي هذا على هذا وهذا على هذا[٤].

الاستدلال على التوحيد:

منح سبحانه وتعالى الانسان العقل ليكون الدليل اليه، فالإنسان العاقل حينما يرى اثار عظمة الله في هذا الكون الفسيح لابد له من ان يقر للخالق بالعبودية، فالمخلوقات صغيرها كالذرة

(٢) تفسير القرطبي، (ج ١٨/ ص ١٧٦).

(٣) ينظر: تفسير السعدي، (ج ١/ ص ٨٧٢).
(٤) تفسير القرطبي، (ج ١٥/ ص ٢٠٦).

وكبيرها كالمجرة كلها تدل على وجود الصانع الحكيم، واما عظمة الخالق فتظهر ليلا عندما ترى الملايين من النجوم المضيئة في هذا الكون، عندها تخر العاقل ساجدا امام هيبة وعظمة الخالق، وقد اراد ابراهيم عليه السلام ان يصل بقومه الى هذه الحقيقة، ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ٧٦ –٧٨]، كان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم، وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال(٥)، قال الرضا عليه السلام: ان ابراهيم عليه السلام وقع على ثلاثة أصناف: صنف يعبد الزهرة وصنف يعبد القمر. وصنف يعبد الشمس، وذلك حين خرج من السرب الذى أخفي فيه، فلما جن عليه الليل رأى الزهرة قال: هذا ربي؟. على الانكار والاستخبار، فلما أفل الكواكب قال: لا احب الآفلين لان الافول من صفات المحدث لا من صفات القديم، (فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي)؟. على الانكار والاستخبار، (فلما أفل قال لئن لم يهدني ربى لأكونن من القوم الضالين) يقول: لو لم يهدني ربى لكنت من القوم الظالمين، فلما أصبح رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر من الزهرة والقمر؟. على الانكار والاستخبار لا على الاخبار والاقرار، فلما افلت قال للأصناف الثلاثة من عبدة الزهرة والقمر والشمس ﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ وانما أراد ابراهيم عليه السلام بما قال أن يبين لهم بطلان دينهم ويثبت عندهم ان العبادة لا تحق لمن كان بصفة الزهرة والقمر والشمس، وانما تحق العبادة لخالقها وخالق السموات

(٥) الوسيط لسيد طنطاوي، (ج ٥/ ص ١٠٩).

والارض، وكان ما احتج به على قومه ما ألهمه الله وآتاه[٦] ويمكننا القول ان ابراهيم عليه السلام اراد ان يصل بهم عن طريق الاستنتاج الى حقيقتين، الاولى ان ما سوى الله تعالى وان عظم حجمه كالنجوم والكواكب فهي لا تمثل شيءً امام الله الذي خلقها، والحقيقة الثانية ان ما سوى الله متغير، منتقل من حال الى حال، بحاجة الى من يمده بما يحتاجه، وهذا محال على الله سبحانه، فعظمة الخلق وكبر الحجم ليست معيارا لاتخاذ الربوبية؛ لان كل شيء عاجز امام الخالق العظيم، والانسان الذي عطل عقله هاله عظمة هذه الاجرام السماوية، ودخل قلبه الرعب منها، وظن انها هي المؤثرة في هذا الكون، وان لها الكلمة الطولى في الخلق؛ فاتخذها معبودا له من دون الله، فقد عبد العرب نجم الشعرى، فرد القران الكريم عليهم، ان هذا النجم العظيم الخلقة ما هو الا مخلوق كسائر المخلوقات، فقد قال سبحانه ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴾ [سورة النجم: ٤٩]، والشعرى نجم كانت قريش وقوم من العرب يعبدونه وهو نجم يطلع في آخر الليل، وهو من أشدّ النجوم في السماء لمعاناً وإشراقاً وهو معروف بنجم الشعرى اليماني، لأنّه يقع في جهة جنوب الجزيرة العربية، وحيث أنّ اليمن في جنوب الجزيرة أيضاً فقد أطلق عليه «باليماني»، وكانت طائفة من العرب كقبيلة «خزاعة» تقدّس هذا النجم وتعبده وتعتقد أنّه مبدأ الموجودات على الأرض.. فتأكيد القرآن على أنّ الله ربّ الشعرى هو لإيقاظ هذه القبيلة وأمثالها من غفوتها، لئلاّ يُشتبه المخلوق بالخالق ويُجعل المربوب مكان الربّ[٧]، هذا النجم العجيب الخلقة لإشراقه الكثير عُدّ ملك النجوم، وله أسرار وعجائب منها: طبقاً للتحقيقات التي أُجريت في المراصد المعروفة في العالم عن «الشعرى» ظهر أنّ حرارة هذا النجم تبلغ ١٢٠ ألف درجة سانتيغراد،

(٦) تفسير نور الثقلين، (ج ١/ ص ٧٣٦).

(٧) ينظر: تفسير نور الثقلين، (ج ٩/ ص ١٨٤) و تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، (ج ١٧/ ص ٢٧٢).

مع العلم أنّ حرارة سطح الشمس لا تتجاوز ٦٥٠٠ درجة سانتيغراد وهذا التفاوت بين الحرارتين يبيّن مدى حرارة الشعرى بالنسبة إلى الشمس، و الجرم المخصوص لهذا النجم أثقل وزناً من الماء بمقدار خمسين ألف مرّة تقريباً، أي أنّ وزن الليتر من الماء على الشعرى يعادل خمسين طنّاً على سطح الأرض!.

مع أنّ من بين مجموع المنظومة الشمسية يعدّ كوكب عطارد أكثر الأجرام في وزنه النوعي ولا يتجاوز وزنه النوعي ستّة أضعاف الوزن النوعي للماء، فينبغي أن نعرف بهذا الوصف كم هذا النجم مثير للدهشة والعجب، ومن أي عنصر يتألّف حتّى صار مضغوطاً بهذا المستوى، يظهر نجم الشعرى -في قرننا -عند فصل الشتاء إلاّ أنّ هذا النجم أو الكوكب كان يظهر في عصر منجمّي مصر في الصيف! وهو كوكب كبير يعادل عشرين ضعفاً من كوكب الشمس، ومسافته تبعد عن الأرض أكثر من مسافة الشمس بمقدار كبير وقد ذكروا أنّ مسافة بين الشعرى والأرض تعادل مليون مرّة المسافة بيننا وبين الشمس، ونعرف أنّ سرعة النور في الثانية (ثلاثمائة ألف كيلومتر) وأنّ نور الشمس يصل إلينا خلال ثماني دقائق وثلاث عشرة ثانية مع أنّها تبعد عنّا مسافة خمسة عشر مليون كيلو «متراً».. في حين أنّ شعاع الشعرى لا يصلنا إلاّ بعد عشر سنين، والآن قدّروا كم هي الفاصلة بين الشعرى والأرض، ولكوكب الشعرى نجم تابع له يدور حوله وهو من نجوم السماء الغامضة، أأوّل من إكتشفه عالم يدعى بسل - b sell عام ١٨٤٤م، إلاّ أنّه رؤي عام ١٨٦٢بالتلسكوب، ويكمل هذا النجم دورته حول الشعرى في ٥٠ عاماً، كلّ هذا يدلّ على عمق تعابير القرآن الكريم وانها ذات معنى غزير، وفي طيّات تعابيره حقائق كامنة إذا لم يقدّر لها أن تعرف في عصر نزولها فإنّها تتجلّى بمرور الزمان[٨]، ويمكننا القول ان قوله تعالى ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴾ فيه تأكيد منه

(٨) تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، (ج ١٧/ ص ٢٧٣).

تعالى بانه رب لهذا الكوكب العظيم، الذي امتاز بهذه الصفات العجيبة، التي اذهلت العلماء، فكان الاحرى عبادة من منح هذا الكوكب هذه الخصائص المذهلة.

التأمل والتفكر في خلق الله سبحانه:

خلق الله سبحانه الانسان ووهب له العقل ليتأمل ويتفكر في خلق الله، فتفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة، لذا دعا الله عباده بالتفكر والتأمل في خلق السماوات والارض ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [سورة نوح: ١٥ -١٦] وخص الشمس بالضياء لأنه أقوى وأكمل من النور، وخص القمر بالنور لأنه أضعف من الضياء ولأنهما إذا تساويا لم يعرف الليل من النهار، فدل ذلك على أن الضياء المختص بالشمس أكمل وأقوى من النور المختص بالقمر، هذا دليل، ومما يدل على التفرقة بين الشمس والقمر في نورهما قوله -تعالى-: ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ وقوله- سبحانه-: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ وقوله: ﴿ وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ﴾ معطوف على ما قبله، والتقدير: جعل الشيء أو الأشياء على مقادير مخصوصة في الزمان أو المكان أو غيرهما قال -تعالى -: ﴿ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ المنازل: جمع منزل، وهي أماكن النزول، وهي -كما يقول بعضهم -ثمانية وعشرون منزلا، وتنقسم إلى اثني عشر برجا وهي: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، لكل برج منها منزلان وثلث منزل، وينزل القمر في كل ليلة منزلا منها إلى انقضاء ثمانية وعشرين، ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوما، ويستتر ليلة واحدة إن كان الشهر تسعة وعشرين يوما، والضمير في قوله: ﴿ قَدَّرْنَاهُ ﴾ يعود إلى القمر، كما في قوله- تعالى -: ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ أي: والله-تعالى -هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا،

وقدر للقمر منازل ينزل فيها في كل ليلة على هيئة خاصة، وطريقة بديعة تدل على قدرة الله وحكمته، قالوا: وكانت عودة الضمير إلى القمر وحده، لسرعة سيره بالنسبة إلى الشمس: ولأن منازله معلومة محسوسة، ولأنه العمدة في تواريخ العرب، ولأن أحكام الشرع منوطة به في الأغلب[٩]، ثم دعانا الله سبحانه التأمل في خلق السماوات ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [سورة نوح: ١٥ –١٦]، أي واحدة فوق الأخرى كالقباب «و جعل القمر فيهن نورا» قيل فيه وجوه (أحدها) أن المعنى و جعل القمر نورا في السماوات و الأرض عن ابن عباس قال يضيء ظهره لما يليه من السماوات و يضيء وجهه لأهل الأرض و كذلك الشمس (و ثانيها) أن معنى فيهن معهن يعني و جعل القمر معهن أي مع خلق السماوات نورا لأهل الأرض (و ثالثها) أن معنى فيهن في حيزهن و إن كان في واحدة منها كما تقول أتيت بني تميم و إنما أتيت بعضهم «و جعل الشمس سراجا» أي مصباحا يضيء لأهل الأرض كما كانت الشمس جعل فيها النور للاستضاءة به كانت سراجا فهي سراج العالم كما أن المصباح سراج الإنسان[١٠]، ووجه سبحانه المشركين الى التأمل ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٠]، واصبحت الآية المباركة محل تأمل العلماء فخرجوا بثلاث اقوال في تفسيرها[١١]:

١. إنّ رتق السّماء والأرض إشارة إلى بداية الخليقة، حيث يرى العلماء أنّ كلّ هذا العالم كان كتلة واحدة عظيمة من البخار المحترق، وتجزّأ تدريجيّا نتيجة الإنفجارات الداخلية والحركة، فتولّدت الكواكب والنجوم، ومن

(٩) الوسيط لسيد طنطاوي، (ج ١/ ص ٢٠٨٠).

(١٠) تفسير مجمع البيان، الطبرسي، (ج ١٠/ ص ١٣٦).

(١١) تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، (ج ١٠/ ص ١٥٥).

جملتها المنظومة الشمسية والكرة الأرضية، ولا يزال العالم في توسّع دائب.

٢. المراد من الرتق هو كون مواد العالم متّحدة، بحيث تداخلت فيما بينها وكانت تبدو وكأنّها مادّة واحدة، إلاّ أنّها إنفصلت عن بعضها بمرور الزمان، فأوجدت تركيبات جديدة، وظهرت أنواع مختلفة من النباتات والحيوانات والموجودات الأُخرى في السّماء والأرض، موجودات كلّ منها نظام خاص وآثار وخواص تختص بها، وكلّ منها آية على عظمة الله وعلمه وقدرته غير المتناهية.

٣. إنّ المراد من رتق السّماء هو أنّها لم تكن تمطر في البداية، والمراد من رتق الأرض أنّها لم تكن تنبت النبات في ذلك الزمان، إلاّ أنّ الله سبحانه فتق الإثنين، فأنزل من السّماء المطر، وأخرج من الأرض أنواع النباتات. والرّوايات المتعدّدة الواردة عن طرق أهل البيت عليهم السلام تشير إلى المعنى الأخير، وبعضها يشير إلى التّفسير الأوّل.

لا شكّ أنّ التّفسير الأخير شيء يمكن رؤيته بالعين، وكيف أنّ المطر ينزل من السّماء، وكيف تنفتق الأرض وتنمو النباتات، وهو يناسب تماماً قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ وكذلك ينسجم وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾، ويمكننا ان نرجح راي آل البيت بدليل طلب الله سبحانه من المشركين النظر والتأمل، فمن غير المعقول ان يطلب سبحانه من المشركين ان يتفكروا في حقيقة علمية حدثت في الكون منذ ملايين السنين ولم يحيطوا بها علما، وكيف يخاطب سبحانه اناس جهلة بهذه المسالة العلمية وعقولهم العفنة تدفعهم لعبادة صنم من الحجارة، ويكفينا ان نسلم لروايات اهل البيت حيث ورد عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن محمد بن داود عن محمد بن عطية قال: قال رجل من أهل الشام لابي جعفر عليه السلام يا ابا جعفر قول الله عز وجل: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ فقال له أبو جعفر عليه السلام فلعلك تزعم انهما كانتا رتقا ملتزقتان

ملتصقتان ففتقت احدهما من الاخرى؟. فقال: نعم، فقال أبو جعفر عليه السلام: استغفر ربك فان قول الله عز وجل: ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ يقول: كانت السماء رتقا لا تنزل المطر، وكانت الارض رتقا لا تنبت الحب، فلما خلق الله تبارك وتعالى الخلق وبث فيها من كل دابة، فتق السماء بالمطر، والارض بنبات الحب[١٢].

القسم بالنجوم لعظمة خلقتها:

يعتقد العلماء الفلكيون أنّ النجوم التي تتجاوز المليارات، والتي نرى قسماً منها بالعين المجرّدة، والقسم الكثير منها لا يمكن رؤيته إلاّ بالتلسكوبات بل إنّ قسماً منها لا نستطيع مشاهدته حتّى بالتلسكوبات، اللهمّ إلاّ بوسائل خاصّة نستطيع أن نصوّرها بها، كلّ من هذه النجوم تدور في مدارها الخاصّ، ولا يوجد أي إحتمال أنّ واحدة منها تكون في حقل الجاذبية لنجمة أُخرى، أو أنّ بعضها يصطدم بالبعض الآخر، وفي الواقع أنّ حالة التصادم المفترضة مثل ما لو إفترضنا أنّ سفينة في المحيط الهادىء تصطدم مع سفينة أُخرى تجري في البحر الأبيض المتوسّط وكلّ منها سائرة بموازاة الأُخرى وبسرعة واحدة... إنّ هذا الأمر لو لم يكن محالا فهو بعيد جدّاً، كذلك الأمر بالنسبة للنجوم حيث أنّ كلا منها لها مدارها الخاصّ بها ولن تصطدم بالأُخرى رغم السرعة الهائلة لكلّ منها، وبالنظر إلى هذه الإكتشافات العلمية عن وضع النجوم، تتوضّح أهميّة القسم، قال تعالى﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [سورة الواقعة: ٧٥]، حول (مواقع النجوم)فقد ذكر المفسّرون تفسيرات عديدة لها: هو المعنى المتعارف عليه من حيث مداراتها وأبراجها ومسيرها، والآخر: هو أنّ المقصود بذلك مواقع طلوعها وغروبها، والثّالث: هو سقوط النجوم في الحشر والقيامة، وفسّرها آخرون: بأنّ معناه هو غروب النجوم فقط، واعتبرها آخرون إشارة وإنسجاماً مع قسم من الرّوايات حول نزول آيات وسور القرآن الكريم في فواصل زمنية مختلفة، وذلك لأنّ

(١٢) تفسير نور الثقلين، (ج ٣/ ص ٤٢٦).

«النجوم» جمع نجمة تستعمل للأعمال التي تنجز بصورة تدريجيّة، وبالرغم من أنّ المعاني لا تتنافى حيث يمكن جمعها في الآية أعلاه، إلاّ أنّ التّفسير الأوّل هو الأنسب حسب الظاهر، وذلك لأنّ أكثر الناس كانوا لا يعلمون أهميّة هذا القسم عند نزول الآيات، بعكس الحالة اليوم، والتي توضّح لنا أنّ لكلّ نجمة من النجوم مكانها المخصّص ومدارها ومسارها المحدّد لها بدقّة وحساب، وذلك طبقاً لقانون الجاذبية، وإنّ سرعة السير لكلّ منها محدّدة أيضاً وفق قانون معيّن وثابت، وهذه المسألة بالرغم من أنّها غير قابلة للحساب بصورة دقيقة في الأجرام السماوية البعيدة، إلاّ أنّ المجاميع الموجودة في المنظومة الشمسية التي تشكّل النجوم القريبة لنا، قد درست بدقّة وتبيّن أنّ نظام مداراتها دقيق إلى حدّ مدهش، وعندما يلاحظ الإنسان -طبقاً لتصريحات العلماء -أنّ في (مجرّتنا) فقط ألف مليون نجمة، وتوجد في الكون مجرّات كثيرة، وكلّ واحدة منها لها مسار خاصّ، عندئذ ستتوضّح لنا أهميّة هذا القسم القرآني[١٣]، ويقسم المولى تبارك وتعالى بمواقع النجوم؛ لان القسم بمواقعها يوجه الانتباه إلى أن المسافات بين النجوم تبلغ حدودا لا يتصورها الخيال، فمثلا نجد أن أقرب نجم إلينا في مجرتنا وهى الشمس تبعد عنا بمقدار ٥٠٠ ثانية ضوئية، بينما النجم الذى يليها في القرب يبعد عنا بمقدار أربع سنوات ضوئية تقريبا، والسنة الضوئية تدل على مدى المسافة التي يقطعها الضوء في سنة كاملة علما بأن سرعة الضوء تساوى ٣٠٠ ألف كيلومتر في الثانية، ثم إن هناك مدلولا علميا آخر عن مواقع النجوم وهى أن موقع الشمس موقع بالغ الدقة في وضعه لكى تستقيم معه الحياة على كوكبنا الأرضي، لأنها لو تقدمت عن موضعها الحالي لاحترقت الارض من شدة حرارتها ولو تأخرت عن موضعها لبردت الارض وتجمدت فيها البحار والمحيطات وتصير غير

(١٣) تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، (ج ١٧/ ص ٤٩٥).

صالحة لحياة البشر عليها[١٤]، وذكر سبحانه هذا القسم عقيب ذكر القيامة الكبرى، وأقسام الخلق فيها، ثم ذكر الأدلة القاطعة على قدرته، وعلى المعاد بالنشأة الأولى وإخراج النبات من الأرض، وإنزال الماء من السماء، وخلق النار ثم ذكر بعد ذلك أحوال الناس في القيامة الصغرى عند مفارقة الروح للبدن، وأقسم بمواقع النجوم على ثبوت القرآن وأنه تنزيله، أن الرب تعالى يقسم بالنجوم وطلوعها وجريانها وغروبها؛ إذ فيها وفي أحوالها الثلاث آية وعبرة ودلالة كما في قوله تعالى ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾ وقال ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ وقال ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ ﴾ ويرجح هذا القول أيضا أن النجوم حيث وقعت في القرآن فالمراد منها الكواكب، كقوله تعالى ﴿ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾ وقوله ﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ ﴾ وعلى هذا فتكون المناسبة بين ذكر النجوم في القسم وبين المقسم عليه وهو القرآن من وجوه: منها أن النجوم جعلها الله يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وآيات القرآن يهتدى بها في ظلمات الجهل والغي، فتلك هداية في الظلمات الحسية، وآيات القرآن في الظلمات المعنوية، فجمع بين الهدايتين مع ما في النجوم من الرجوم للشياطين وفي آيات القرآن من رجوم شياطين الإنس والجن، والنجوم آيات المشهودة المعاينة والقرآن آياته المتلوة السمعية مع ما فيها مواقعها عند الغروب من العبرة والدلالة على آياته القرآنية ومواقعها عند النزول[١٥]، وعلل بعضهم القسم بمواقع النجوم بانه: لعل لله تعالى في آخر الليل إذا انحطت النجوم إلى المغرب أفعالاً مخصوصة عظيمة، أو للملائكة عبادات موصوفة، أو لأنه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين إليه من عباده الصالحين، ونزول الرحمة والرضوان عليهم؛ فلذلك أقسم بمواقعها، واستعظم ذلك

(١٤) القرآن وإعجازه العلمي، محمد اسماعيل ابراهيم، (ج ١/ ص ٦٢).

(١٥) التبيان في أقسام القرآن، (ج ١/ ص ١٣٦).

بقوله ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ أو أراد بمواقعها: منازلها ومسايرها، وله تعالى في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف(١٦)، كما اقسم سبحانه بنجوم مخصوصة ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾ [سورة التكوير: ١٥-١٦]، أنها النجوم الخنس جمع خانس، والخنوس والانقباض والاستخفاء تقول: خنس من بين القوم وانخنس، وفي الحديث «الشيطان يوسوس إلى العبد فإذا ذكر الله خنس» أي انقبض ولذلك سمي الخناس (والكنس) جمع كانس وكانسة يقال: كنس إذا دخل الكناس وهو مقر الوحش يقال كنس الظباء في كنسها، وتكنست المرأة إذا دخلت هودجها تشبه بالظبي إذا دخل الكناس. ثم اختلفوا في خنوس النجوم وكنوسها على ثلاثة أوجه فالقول الأظهر: أن ذلك إشارة إلى رجوع الكواكب الخمسة السيارة، واستقامتها فرجوعها هو الخنوس، وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس، ولا شك أن هذه حالة عجيبة وفيها أسرار عظيمة باهرة، القول الثاني: ما روي عن علي عليه السلام وعطاء ومقاتل وقتادة أنها هي جميع الكواكب، وخنوسها عبارة عن غيبوبتها عن البصر في النهار، وكنوسها عبارة عن ظهورها للبصر في الليل، أي تظهر في أماكنها كالوحش في كنسها والقول الثالث: أن السبعة السيارة تختلف مطالعها ومغاربها على ما قال تعالى: ﴿ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ ﴾ [سورة المعارج: ٤٠]، ولا شك أن فيها مطلعاً واحداً ومغرباً واحداً هما أقرب المطالع والمغارب إلى سمت رؤوسنا، ثم إنها تأخذ في التباعد من ذلك المطلع إلى سائر المطالع طول السنة، ثم ترجع إليه فخنوسها عبارة عن تباعدها عن ذلك المطلع، وكنوسها عبارة عن عودها إليه، فهذا محتمل فعلى القول الأول يكون القسم واقعاً بالخمسة المتحيرة، وعلى القول الثاني يكون القسم واقعاً بجميع الكواكب وعلى هذا الاحتمال الذي ذكرته يكون القسم واقعاً بالسبعة

(١٦) الكشاف: (ج٦/ ص٤٨٧).

السيارة والله أعلم بمراده[١٧]، وظهرت معاني جديدة فسرت الخنس الكنس بالثقوب السوداء، والثقب الاسود هو حالة من حالات موت النجوم واحتضارها في نهاية عمرها، وان شدة الجاذبية في الثقوب السوداء هي اشد من سرعة الضوء؛ لذا فهي تبتلع كل شيء يقترب منها ويقع ضمن جاذبيتها الجبارة، فالثقوب السوداء غير مرئية (الخنس) عند سيرها في فضاء الكون فانها تبتلع كل الشوائب الكونية الموجودة بين الكواكب، فتنظف الفضاء وتكنسه من الفضلات[١٨]، كما اقسم سبحانه بالشمس ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ [سورة الشمس: ١ -٦]، أقسم الله تعالى بالشمس، وضوئها حرها، ويقال: بخالق الشمس وضحاها، يعني: ارتفاع النهار. ويقال: حر الشمس يسمى ضحى، ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ يعني: يتبع الشمس والهاء، كناية عن الشمس. وقال قتادة: والشمس هو النهار، ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ يتلوها صبيحة الهلال، وإذا سقطت الشمس، رأيت الهلال عند سقوطها، ثم قال عز وجل: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ يعني: إذا أضاء واستنار، فقال القتبي: هذا من الاختصار ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ ويعني: والأرض أو الدنيا، يعني: النهار أذا أضاء الدنيا. وقال الكلبي: معناه إذا جلى النهار ظلمة الليل. ثم قال عز وجل: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ يعني: غطى ضوء النهار، ويقال: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ يعني: غطى الأرض وسترها. ثم قال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ اي خلقها، ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ اي الله تعالى بناها، فأقسم بنفسه، ويقال: ما للصلة، ومعناه والسماء وبنائها، ثم قال عز وجل: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ يعني: والذي بسطها على الماء من تحت الكعبة[١٩]، ويمكننا

(١٧) الرازي: ٣١/ ٧١.

(١٨) ينظر: الموسوعة العلمية القرآنية -لبيب بيضون (ج٤/ ص٣٢٤، ٣٢٥).

(١٩) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي، (ج ٣/ ص ٥٦٢).

القول ان القسم بهذه المخلوقات ليس المراد منه بالدرجة الاساس ذكر خصائصها العجيبة التي تمتاز بها هذه النجوم، انما لظهار عظمة الخالق وعظمة ما اراد سبحانه من القسم لأجله.

تسخير النجوم والكواكب:

كرم الله سبحانه وتعالى الانسان وسخر له ما في السماوات والارض، وكل ما يحيط به، وتظهر هذه الكرامة جلية في تسخير الاجرام السماوية العظيمة له، فمنها يستمد الضوء والدفء، ومنها يعرف الوقت والحساب، ومنها يغذي افكاره، فهي تجعله في بحث مستمر لكشف اسرارها وخفاياها، وتدله على عظمة خلق الله تعالى، حيث يقف عاجزا امام تلك المخلوقات العظيمة، وتظهر عناية الله للإنسان بتسخير كل شيء للإنسان ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [سورة النحل: ١٢]، قرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات أو على أن معنى تسخيرها للناس: تصييرها نافعة لهم، حيث يسكنون بالليل، ويبتغون من فضله بالنهار، ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر، ويهتدون بالنجوم. فكأنه قيل: ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بأمره[٢٠] واشار سبحانه في اكثر من اية الى تسخير الشمس والقمر ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٦١] ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [سورة لقمان: ٢٩]، وهذا يكون في زمن الصيف يطول النهار إلى الغاية، ثم يسرع في النقص فيطول الليل ويقصر النهار، وهذا يكون في زمن الشتاء، ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ قيل: إلى غاية محدودة. وقيل: إلى يوم القيامة، وكلا المعنيين صحيح، وقال ابن أبي الحاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح،

(٢٠) الكشاف الزمخشري، (ج: ٣/ ٣٣٩).

حدثنا يحيى بن أيوب، عن ابن جُرَيْج، عن عَطَاء بن أبي رباح، عن ابن عباس أنه قال: الشمس بمنزلة الساقية، تجري بالنهار في السماء في فلكها، فإذا غربت جرت بالليل في فلكها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها، قال: وكذلك القمر[٢١]. وتكرر ذكر التسخير في الآية ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴾ [سورة فاطر: ١٣]، كذلك ما جعل اللّه في تسخير الشمس والقمر، الضياء والنور، والحركة والسكون، وانتشار العباد في طلب فضله، وما فيهما من تنضيج الثمار وتجفيف ما يجفف، وغير ذلك مما هو من الضروريات، التي لو فقدت لَلَحِقَ الناس الضرر[٢٢]، وهذه النعم العظيمة توجب على الانسان التوجه له سبحانه بالعبودية ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴾ [سورة الرعد: ٢]، المراد رفع السماوات بغير عمد و أنتم ترونها يعني ليس من دونها دعامة يدعمها و لا فوقها علاقة تمسكها، قال الزجاج و في ذلك من القدر و الدلالة ما لا شيء أوضح منه لأن السماء محيطة بالأرض متبرية منها بغير عمد، او أن يكون ترونها من نعت العمد فيكون المعنى بغير عمد مرئية فعلى هذا تعمدها قدرة الله عز و جل ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ ﴾ أي ذللهما لمنافع خلقه و مصالح عباده «يدبر الأمر» أي يدبر الله كل أمر من أمور السماوات و الأرض و أمور الخلق على وجه توجيه الحكمة و تقتضيه المصلحة[٢٣] ويمكننا القول ان تكرر معنى التسخير في الآيات المباركة فيه دلالة على عظم قدر الانسان عند الله تعالى، حيث سخر له هذه الاجرام العظيمة.

(٢١) تفسير ابن كثير، (ج ٦/ ص ٣٥٠).
(٢٢) تفسير السعدي، (ج ١/ ص ٦٨٦).
(٢٣) تفسير مجمع البيان، الطبرسي، (ج ٦/ ص ٤).

كشف الحقائق العلمية:
(جريان وحركة النجوم والكواكب)

كشف القـــرآن الكريم للناس حقيقة علمية تخص حركة الشمس والارض والقمر، ولم يبخل القران في كشفه للحقائق العلمية؛ لان المشروع الاسلامي مبني على العلم، وهدفه بناء امة متعلمة ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٣]، ففي هذه الآيات الكريمة إشارات نشير إليها وهي جريان الشمس في نفسها: ﴿ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ ﴾ ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ ﴾ ﴿ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ ﴾ ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ ﴾ ﴿ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴾ فانّ الجريان هو الحركة الدقيقة المنظَّمة في طول مكان، والدأب هو الجريان المداوم المستمر في أمر مع اهتمام فيه، والدلوك هو إمرار شيء على شيء مع المسح، والإدراك هو الوصول مع الإحاطة، فهذه الآيات الكريمة تصرّح بحركة الشمس خلاف ما يتراءى لنا منها من السكون، وقد اتّفق علماء النجوم بأنّ الشمس تتحرّك كباقي الثوابت، وأنّها واقعة في المجرّة المسمّاة بالسديم الكبير ومطلق المجرّة (كهكشان) وهي ممتدّة من ذات الكرسي إلى جانب الجنوب إلى أن تنتهي إلى قنطوروس بعد السماك الأعزل في السنبلة، ويقال إنّ نجوم المجرّة تبلغ إلى عشرات ملايين النجوم[٢٤]، وسخر لكم الشمس والقمر يتعاقبان عليكم أيها الناس بالليل والنهار لصلاح أنفسكم ومعاشكـــم، (دائبين) في اختلافهما عليكم، وقيل: معناه: أنهما دائبان في طاعة الله، عن ابن عباس، في قوله: وسخر لكم الشمس والقمر دائبين قال: دؤوبهما في طاعة الله[٢٥]. ويمكننا القول ان في ذلك تعليم للإنسان الطاعة فاذا كان الجماد مطيع لله فما بالك بمن يملك العقل، واكد سبحانه على جريان الشمس في اية اخرى ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾

(٢٤) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي: (ج ٦/ ١١٧).
(٢٥) الطبري: (ج١٣/ ٢٩٥).

وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [سورة يس: ٣٨-٤٠]، هذه الآية تبيّن بوضوح حركة الشمس بشكل مستمر، أمّا ما هو المقصود من تلك الحركة؟. فللمفسّرين أقوال متعدّدة: قال بعضهم: إنّ ذلك إشارة إلى حركة الشمس الظاهرية حول الأرض، تلك الحركة التي ستستمر إلى آخر عمر العالم الذي هو نهاية عمر الشمس ذاتها، وقال آخرون: إنّه إشارة إلى ميل الشمس في الصيف والشتاء نحو الشمال والجنوب على التوالي، لأنّنا نعلم بأنّ الشمس تميل عن خطّ إعتدالها في بدء الربيع بطرف الشمال، لتدخل في مدار (٢٣) درجة شمالا، وتعود مع بدء الصيف قليلا قليلا حتّى تنتهي إلى خطّ إعتدالها عند بداية الخريف وتستمر على خطّ سيرها ذلك باتّجاه الجنوب حتّى بدء الشتاء، ومن بدء الشتاء تتحرّك باتّجاه خط إعتدالها حتّى تبلغ ذلك عند بدء الربيع. وبديهي أنّ جميع تلك الحركات في الواقع ناجمة عن حركة الأرض حول الشمس وإنحرافها عن خطّ مدارها، وان كانت ظاهراً تبدو وكأنّها حركة الشمس، وآخرون اعتبروا الآية إشارة إلى حركة الشمس الموضعية بالدوران حول نفسها، حيث أثبتت دراسات العلماء بشكل قطعي أنّ الشمس تدور حول نفسها، وآخر وأحدث التفاسير التي ظهرت بخصوص هذه الآية، هو ما كشفه العلماء أخيراً من حركة الشمس مع منظومتها باتّجاه معيّن ضمن المجرة التي تكون المجموعة الشمسية جزءاً منها، وقيل أنّ حركتها باتّجاه نجم بعيد جدّاً أطلقوا عليه اسم «وجا»، كلّ هذه المعاني المشار إليها لا تتضارب فيما بينها، ويمكن أن تكون جملة «تجري» إشارة إلى جميع تلك المعاني ومعاني أُخرى لم يصل العلم إلى كشفها، وسوف يتمّ كشفها في المستقبل، وعلى كلّ حال، فإنّ حركة الشمس الذي يعادل مليون ومائتي الف مرّة حجم الأرض، بحركة دقيقة ومنظمة في هذا الفضاء اللامتناهي، ليس مقدوراً لغير الله سبحانه الذي تفوق

قدرته كلّ قدرة وبعلمه اللامتناهي، لذا فإنّ الآية تضيف في آخرها ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾[٢٦].

بيان روعة الخلق:

المتأمل في الكون الفسيح يلمس جمال وروعة ما خلق الله سبحانه وتعالى، فالنجوم مضيئة كأنها حديقة غنّاء، وما يَأسر قلبك تلك الظلمة وذلك الهدوء، فاذا تأملت في ذلك دخلت في نفسك السكينة والطمأنينة، وجالت في خواطرك تساؤلات عن هذا الكون البديع في خلقه، وروائع خلق الله نجدها في كل الآيات التي اشارت الى النجوم والكواكب ومنها ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا﴾ [سورة الفرقان: ٦١]، يرى سكان الارض نجوم السماء على هيئة مجموعات تكاد تحتفظ بصورها على مر الاجيال، والبروج هي تلك المجموعات من الاجرام التي تمر أمامها الشمس أثنا دورانها الظاهري من حول الارض، فالبروج كأنها منازل الشمس في دورانها أثناء السنة. وكل ثلاثة منها تؤلف فصلا من فصول السنة، وعدد هذه البروج اثنا عشر وهي: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت، وفي قوله تعالى في وصف الشمس أنها سراج اشارة إلى أنها مصدر الطاقة الحرارية نظرا للتفاعلات الذرية في داخلها، والاشعاع الشمسي المنبعث من هذه الطاقة يسقط على الكواكب والارض والاقمار وسائر اجرام السماء غير المضيئة، أما القمر فينير بضياء الشمس المرتد على سطحه[٢٧]، ومن مظاهر روعة الخلق تأثير الشمس على الظل ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا﴾ [سورة الفرقان: ٤٥]، الم تر الى ربك الم تنظر الى صنعه كيف مد الظل كيف بسطه، عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال الظل ما بين طلوع الفجر الى طلوع

(٢٦) تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، (ج ١٤/ ص ١٨٤).

(٢٧) القرآن وإعجازه العلمي، محمد اسماعيل ابراهيم، (ج ١/ ص ٧١).

الشمس قيل وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الهواء ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة، فقال وظل ممدود ولو شآء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى أو غيرمتقلص من السكون بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوؤها على بعض الاجرام فلولاها لما عرف الظل ولا يتفاوت الا بسبب حركتها[٢٨].

الاعجاز العلمي:

اذهل القرآن الكريم العلماء على مختلف تخصصاتهم، ففي كل يوم تُكتشف حقيقة علمية كانت مستورة وغائبة عن عقول الناس، وقد صرح القرآن الكريم قبل اوانها، والكون وما فيه احد اهم تلك الميادين التي طأطأ العلماء رؤوسهم اقرارا بعظمة خلق الخالق وصنعه، ومن الآيات التي اشارت الى ذلك ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴾ [سورة الذاريات: ٤٧-٤٨]، وردت كلمة السماء والسماوات مرارا وتكرارا في القرآن، ويفسر العلم السماء بأنها الكرة الكونية الجامعة لكل الافلاك والنجوم في مجرتنا أي حدود عالمنا المادي، وهذا يوافق تفسير الامام محمد عبده إذ يقول: السماء إسم لما علاك وارتفع فوق رأسك، وأنت إنما تتصور عند سماعك لفظ اسماء هذا الكون الذى فوقك، وفيه الشمس والقمر وسائر الكواكب تجرى في مسالكها وتتحرك في مداراتها، وهذه هي السماء، وقد بناه الله أي رفعه وجعل كل كوكل، منه لبنة من بناء سقف فيه أو جدران تحيط به، وقد تجاذبت هذه الكواكب السيارة بعضها إلى بعض برباط الجاذبية العامة كما تربط أجزاء البناء، الواحد بما يوضع بينها من مواد تتماسك بها، ومما تجدر الاشارة إليه أن السماء تدل على الفراغ اللانهائي في الكون والذى لا يمكن أن يكون خلوا لا يشغله شيء بل يملاه وسط غير مادى اسمه الاثير وفي هذا الوسط غير المادي تنتقل الطاقات غير المادية مثل موجات

(٢٨) تفسير الصافي، (ج ٤/ ص ١٧).

اللاسلكي أو الراديو والرادار والضوء والحرارة، ويطلق على هذه الطاقات اسم أمواج الاثير[٢٩]. أن الله تعالى بنى هذا الكون، وأحكم بناءه بقوة، وأن هذا البناء المحكم، لم يتوقف عند هذا الحد، وإنما هو في توسُّع دائم، وامتداد إلى ما شاء الله تعالى وقدر. دلَّ على ذلك التعبير بالجملة الاسمية، المؤكدة بـ(إن) و(اللام)، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، ثم إن في إطلاق الخبر «مُوسِعُونَ»، دون تقييده بالإضافة، دلالة أخرى على ما أراد الله تعالى أن يخبر عنه، وأكده العلم الحديث. فقد ثبت للعلماء منذ الثلث الأول للقرن العشرين أن هذا الجزء المرئي من الكون مُتَّسِعٌ اتِّساعًا، لا يدركه عقل، وأنه في اتِّساع دائم إلى اليوم. بمعنى أن المجرَّات فيه تتباعد عن مجرتنا، وعن بعضها البعض بسرعات هائلة، فقد ثبت للعلماء منذ الثلث الأول للقرن العشرين أن هذا الجزء المرئي من الكون مُتَّسِعٌ اتِّساعًا، لا يدركه عقل، وأنه في اتِّساع دائم إلى اليوم صورة تبين توسع السماء بعد خلق الكون وهذه الحقيقة المكتشفة أكدتها حسابات كل من الفيزيائيين النظريين والفلكيين، ولا تزال تقدم المزيد من الدعم والتأييد لهذه الحقيقة المشاهدة، التي تشكل إعجازًا علميًا رائعًا من إعجاز القرآن، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ إعجاز آخر من إعجاز القرآن؛ حيث كان الظاهر أن يقال: «فَنِعْمَ الْفَارِشُونَ»، بدلاً من قوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾. ولو قيل ذلك، لكان بليغًا؛ ولكنه لا يؤدِّي المعنى المراد؛ لأن الأرض خُلِقتْ؛ لتكون موضع سكن واستقرار، ولا يمكن أن تكون كذلك إلا إذا مُهِدَت بعد فرشها. فاختار سبحانه وتعالى للمعنى الأول لفظ (الفرش)، لِمَا فيه من دلالة على الراحة والاستقرار، واختار للمعنى الثاني لفظ (التمهيد)، لِمَا فيه من دلالة على البَسْط والإصلاح[٣٠]، اما

(٢٩) القرآن وإعجازه العلمي، محمد اسماعيل ابراهيم، (ج ١/ ص ٦١).

(٣٠) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، (ج ١/ ص ١٥٩).

نجم الطارق فقد اكتشف العلماء حقائق مذهلة توافق ما جاء في القران ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [سورة الطارق: ١]، ويُعتقد انها النجوم النابضة؛ لأنها تصدر أصواتًا مثل صوت الطرق، و يؤكد علماء وكالة ناسا أن هذه النجوم تصدر أصوات نبض أو خفقان، يؤكد البروفسور ROTHSCHILD RICHARD من جامعة كاليفورنيا أن النجوم النابضة تنتج عن انفجارات النجوم وتبث كميات هائلة من الإشعاعات التي تعتبر الأشد لمعاناً، وهي تعمل مثل المطرقة التي تدق، فيقول «هذا الانفجار كان شبيهاً بضرب نجم نيوتروني بمطرقة عملاقة، وهذا ما يجعل النجم يدق مثل الجرس»، ويؤكد هذا الباحث أن الضوء الصادر عن مثل هذه الانفجارات عظيم جداً، فقد بث هذا النجم خلال عشر ثانية ما تبثه الشمس خلال ١٥٠٠٠٠ سنة من الضوء[٣١]،

ويفسّر القرآن الكريم «الطارق» بقوله: (النجم الثاقب)، بالنجم اللامع الذي مع علوّه الشاهق وكأنّه يريد أن يثقب سقف السماء، وكأنّ نوره المتشعشع يريد أن يثقب ستار الليل الحالك، فيجلب الأنظار بميزته هذه، ولكن، أيُّ نجم هو الطارق؟. هل هو الثريا (لبعدها الغائر في عمق السماء)، زحل، الزهرة، أم الشهب (لما لها من نور جذّاب)، أم كل النجوم؟. ثمّة احتمالات متباينة في هذا الموضوع، ولكن وجود صفة «الثاقب» لهذا النجم تعطي الإشارة إلى أنّ النجوم المتلألئة التي تثقب أنوارها ظلمة الليل، وتجذب الأنظار إليها، هي المرادة وليس كلّ نجم، وفسّرت بعض الرّوايات «النجم الثاقب» بكوكب (زحل) من المنظومة الشمسية لشدّة نوره ولمعانه، وروي أنّ منجماً سأل الإمام الصادق عليه السلام، بقوله: فما يعني بالثاقب؟. قال: «لأنّ مطلعه في السماء السابعة، وأنّه ثقب بضوءه حتى أضاء السماء الدنيا، فمن ثمّ سمّاه اللهّ النجم الثاقب» ويعتبر (زحل) من أبعد النجوم

(٣١) ويكيبيديا الموسوعة الحرة https: / / ar. wikipedia. org / wiki

أو الكواكب في مجموعتنا الشمسية[٣٢]، واخبرنا سبحاه عن القمر ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [سورة القمر: ١]، فقد اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله ﷺ إن فعلت تؤمنون قالوا نعم و كانت ليلة بدر فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين و رسول الله ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا و قال ابن مسعود انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين فقال لنا رسول الله ﷺ اشهدوا اشهدوا[٣٣]، وقد اكتشف قبل ٢٠٠ سنة ثلاثة أنواع من الشقوق على سطح القمر تختلف حسب شكلها النوع الأول من شكله عرف بأنه نتج عن تدفق الحمم على سطح القمر أما النوعين الآخرين فلم يحسم الباحثون الأسباب وراء حدوثها، وبعض الباحثين المسلمين في الإعجاز العلمي يعتقدون أن هذه الشقوق بقيت بعد المعجزة لتؤكد صدق نبي الإسلام محمد وأنها دليل واضح على أن القرآن نزل من عند الله لأنه يشير إلى شقوق في القمر قبل اختراع التلسكوب بمئات السنين كما أنهم لجأوا للاستشهاد بالصور التي أطلقتها ناسا عن الأخاديد القمرية[٣٤]، اما الاعجاز في قوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يونس: ٥]، فكلمة ضياء يمكن ان تكون جمع ضوء، وهذه الآية تنص على ان ضوء الشمس مركب من عدة اضواء مختلفة، وهو ما قرره العالم الانكليزي اسحق نيوتن بعد نزول القران بنحو الف عام، فقد اكتشف ان الضوء الابيض بعضه احمر، وبعضه اصفر وبعضه ازرق، فاذا اجتمعت هذه الالوان النورية، تولد نور ابيض كنور الشمس، مركب من عدة اضواء

(٣٢) تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، (ج ٢٠/ ص ١٠٤).

(٣٣) تفسير مجمع البيان، الطبرسي، (ج ٩/ ص ٢٨١).

(٣٤) ويكيبيديا الموسوعة الحرة https: / / ar. wikipedia. org / wiki

والوان، وهذا القانون الطبيعي اشعر به القران كنبأ غيبي، دون ان يتوصل اليه الناس في عهد النبي ﷺ[٣٥]، اما بخصوص الاعجاز فيمكننا القول ان ما جاء في القران من حقائق علمية تخص الكون متجددة، فلربما وفي أي وقت يصرح العلماء عن اكتشاف علمي جديد بالنسبة اليهم قديم بالنسبة للقران، فمجال التحدي العلمي في القران مستمر، يعود بالفائدة على الناس؛ لأنه يفتح المجال امام العلماء في البحث بأسرار هذا العالم.

توبيخ المشركين:

وصف سبحانه المشركين الذين عطلوا عقولهم بانهم كالأنعام بل ادنى مرتبة؛ لانهم لم ينظروا في خلق الله ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [سورة النازعات: ٢٧ -٣٢]، خطاب توبيخي للمشركين المنكرين للبعث المستهزئين به على سبيل العتاب و يتضمن الجواب عن استبعادهم البعث بقولهم: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ [سورة النازعات: ١٠-١١]، بأن الله خلق ما هو أشد منكم خلقا فهو على خلقكم و إنشائكم النشأة الأخرى لقدير، و يتضمن أيضا الإشارة إلى الحجة على وقوع البعث حيث يذكر التدبير العام العالمي و ارتباطه بالعالم الإنساني و لازمه ربوبيته تعالى، و لازم الربوبية صحة النبوة و جعل التكاليف، و لازم ذلك الجزاء الذي موطنه البعث و الحشر، و لذا فرع عليه حديث البعث بقوله: "فإذا جاءت الطامة الكبرى" إلخ، فقوله: "ء أنتم أشد خلقا أم السماء" استفهام توبيخي بداعي رفع استبعادهم البعث بعد الموت، و الإشارة إلى تفصيل خلق السماء بقوله: "بناها" إلخ دليل أن المراد به تقرير كون السماء أشد خلقا، و قوله: "بناها" استئناف و بيان تفصيلي لخلق السماء، و قوله: "رفع سمكها فسواها" أي رفع سقفها و ما

(٣٥) ينظر: الموسوعة العلمية القرآنية -لبيب بيضون(ج٤/ ص١٦).

ارتفع منها، و تسويتها ترتيب أجزائها و تركيبها بوضع كل جزء في موضعه الذي تقتضيه الحكمة كما في قوله: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [سورة الحجر: ٢٩]، و قوله: «و أغطش ليلها و أخرج ضحاها» أي أظلم ليلها و أبرز نهارها، و الأصل في معنى الضحى انبساط الشمس و امتداد النهار أريد به مطلق النهار بقرينة المقابلة و نسبة الليل و الضحى إلى السماء لأن السبب الأصلي لها سماوي و هو ظهور الأجرام المظلمة بشروق الأنوار السماوية كنور الشمس و غيره و خفاؤها بالاستتار و لا يختص الليل و النهار بالأرض التي نحن عليها بل يعمان سائر الأجرام المظلمة المستنيرة، و قوله: «و الأرض بعد ذلك دحاها» أي بسطها و مدها بعد ما بنى السماء و رفع سمكها و سواها و أغطش ليلها و أخرج ضحاها، و قيل: المعنى و الأرض مع ذلك دحاها، و ذكر بعضهم أن الدحو بمعنى الدحرجة، و قوله: «أخرج منها ماءها و مرعاها» قيل: المرعى يطلق على الرعي بالكسر فالسكون و هو الكلأ كما يجيء مصدرا ميميا، و اسم زمان و مكان، و المراد بإخراج مائها منها تفجير العيون و إجراء الأنهار عليها، و إخراج المرعى إنبات النبات عليها مما يتغذى به الحيوان و الإنسان فالظاهر أن المراد بالمرعى مطلق النبات الذي يتغذى به الحيوان و الإنسان كما يشعر به قوله: «متاعا لكم و لأنعامكم» لا ما يختص بالحيوان كما هو الغالب في استعماله، و قوله: «و الجبال أرساها» أي أثبتها على الأرض لئلا تميد بكم و ادخر فيها المياه و المعادن كما ينبيء عنه سائر كلامه تعالى[٣٦].

المبحث الثاني:

ذكر فوائد النجوم

يمكننـــا ان نستشف من الآيات المباركة التي ذكرت النجـوم والكواكب جملة من الغايات والاهداف التي تنفع الانسان في حياته، فعن طريق ملاحظته لنظامها الدقيق يتعلم النظام، ومن مواقعها يعرف الاتجاهات، كما خص

(٣٦) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، (ج ١١/ ص ٢٩١).

سبحانه خاصته بعلم التنجيم، ومن فوائدهـــا حفظ السماء من الشياطين وغيرهـــا، ويمكننا اجمال هذه الفوائد بعدة امور:

التنظيم:

اخضع سبحانه الكون لنظام دقيق جدا، واي خلل فيه يعني انفراط عقد هذا الكون العظيم، ومنه نتعلم ان رقي الامة بنظامها ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ يونس: ٥، يخبر تعالى عما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته، وعظيم سلطانه، وأنه جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياء وشعاع القمر نورا، هذا فن وهذا فن آخر، ففاوت بينهما لئلا يشتبها، وجعل سلطان الشمس بالنهار، وسلطان القمر بالليل، وقدر القمر منازل، فأول ما يبدو صغيرًا، ثم يتزايد نُوره وجرمه، حتى يستوسق ويكمل إبداره، ثم يشرع في النقص حتى يرجع إلى حاله الأول في تمام شهر، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [سورة يس: ٣٩-٤٠]. وقال: ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام: ٩٦] وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿ وَقَدَّرَهُۥ ﴾ أي: القمر ﴿ وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ ﴾ فبالشمس تعرف الأيام، وبسير القمر تعرف الشهور والأعوام، ﴿ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ﴾ أي: لم يخلقه عبثا بل له حكمة عظيمة في ذلك، وحجة بالغة[٣٧]، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[سورة ص: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾[سورة المؤمنون: ١١٥-١١٦]، ويظهر النظام الكوني في قوله تعالى ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ

(٣٧) تفسير ابن كثير، (ج ٢/ ص ٤٢٢).

كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [سورة يس: ٣٩ -٤٠]، أمّا آخر ما قيل في تفسير هذه الآية فهو أنّ تعبير الآية يشير إلى نظام السنّة الشمسية الناشئ عن حركة الشمس عبر الأبراج المختلفة، ذلك النظام الذي يعطي لحياة الإنسان نظاماً وبرنامجاً معيّناً يؤدّي إلى تنظيم حياته من مختلف النواحي، لذا فإنّ الآية التالية تتحدّث عن حركة القمر ومنازله التي تؤدّي إلى تنظيم أيّام الشهر، فتقول الآية: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾، المقصود بـ (المنازل) تلك المستويات الثمانية والعشرون التي يطويها القمر قبل الدخول في «المحاق» والظلام المطلق؛ لأنّ القمر يمكن رؤيته في السماء إلى اليوم الثامن والعشرين، ولكنّه يكون في ذلك اليوم هلالا ضعيفاً مائلا لونه إلى الإصفرار، ويكون نوره قليلا وشعاعه ضعيفاً جدّاً، وفي الليلتين الباقيتين من الثلاثين يوماً تنعدم رؤيته تماماً ويقال: إنّه في دور (المحاق)، ذلك إذا كان الشهر ثلاثين يوماً، أمّا إذا كان تسعة وعشرين يوماً، فإنّ نفس هذا الترتيب سيبدأ من الليلة السابعة والعشرين ليدخل بعدها القمر في (المحاق)، تلك المنازل محسوبة بدقّة كاملة، بحيث أنّ المنجّمين منذ مئات السنين يستطيعون أن يتوقّعوا تلك المنازل ضمن حساباتهم الدقيقة، هذا النظام العجيب ينظّم حياة الإنسان من جهة، ومن جهة أُخرى فهو تقويم سماوي طبيعي لا يحتاج إلى تعلّم القراءة والكتابة لمتابعته. بحيث أنّ أيّ إنسان يستطيع بقليل من الدقّة والدراية في أوضاع القمر خلال الليالي المختلفة، يستطيع بنظرة واحدة أن يحدّد بدقّة أو بشكل تقريبي أيّة ليلة هو فيها، ففي الليلة الأُولى يظهر الهلال الضعيف وطرفاه إلى الأعلى، ويزداد حجمه ليلة بعد ليلة حتّى الليلة السابعة حيث تكتمل نصف دائرة القمر، ثمّ تستمر الزيادة حتّى تكتمل الدائرة الكاملة للقمر في الليلة الرابعة عشرة ويسمّى حينئذ «بدراً»، ثمّ يبدأ بالتناقص تدريجياً حتّى الليلة الثامنة والعشرين حيث يصبح هلالا باهتاً

يشير طرفاه إلى الأسفل، نعم، فإنّ النظم يشكّل أساس حياة الإنسان، والنظم بدون التعيين الدقيق للزمن ليس ممكناً، لذا فإنّ الله سبحانه وتعالى قد وضع لنا هذا التقويم الدقيق للشهور والسنين في كبد السماء. «خلق السماوات و الأرض بالحق» أي لم يخلقهما باطلا لغير غرض بل خلقهما للغرض الحكمي «يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل» أي يدخل كل واحد منهما على صاحبه بالزيادة و النقصان فما يزيد في أحدهما ينقص من الآخر عن الحسن و جماعة من المفسرين و قيل يغشى هذا كما قال يغشي الليل النهار و يولج الليل في النهار عن قتادة «و سخر الشمس و القمر» بأن أجراهما على وتيرة واحدة «كل يجري لأجل مسمى» أي إلى مدة قدرها الله لهما أن يجريا إليها، و قيل إلى قيام الساعة، و قيل لأجل مسمى أي لوقت معلوم في الشتاء و الصيف هو المطلع و المغرب لكل واحد منهما[٣٨] وقال سبحانه ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [سورة الرحمن: ٥]، أي يجريان بحسبان و منازل لا يعدوانها و هما يدلان على عدد الشهور و السنين و الأوقات، عن ابن عباس و قتادة فأضمر يجريان و حذفه لدلالة الكلام عليه و تحقيق معناه أنهما يجريان على وتيرة واحدة و حساب متفق على الدوام لا يقع فيه تفاوت، فالشمس تقطع بروج الفلك في ثلاثمائة و خمسة و ستين يوما و شيء و القمر في ثمانية و عشرين يوما فيجريان أبدا على هذا الوجه، و إنما خصهما بالذكر لما فيهما من المنافع الكثيرة للناس من النور و الضياء و معرفة الليل و النهار و نضج الثمار إلى غير ذلك[٣٩].

الزينة وطرد الشياطين:

ازال سبحانه ظلمة الكون المظلم بتلألأ النجوم، ففي ذلك جمال فائق يدخل البهجة في القلب، كما تؤدي النجوم فوائد كحفظ السماء من الشياطين، ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ

(٣٨) تفسير الامثل: ١٤(ج/ ١٨٤).

(٣٩) تفسير مجمع البيان، الطبرسي، (ج ٩/ ص ٣٣٠).

ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [سورة فصلت: ١٢]، وقال تعالى ﴿ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [سورة الملك: ٥]، المصابيح جمع مصباح و هو السراج سمي الكواكب مصابيح لإنارتها و إضاءتها، و قوله: ﴿ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ ﴾ أي و جعلنا الكواكب التي زينا بها السماء رجوما يرجم بها من استرق السمع من الشياطين كما قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴾ [سورة الحجر: ١٨]، و قال: ﴿ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ﴾ [سورة الصافات: ١٠]، قيل: إن الجملة دليل أن المراد بالكواكب المزينة بها السماء مجموع الكواكب الأصلية و الشهب السماوية فإن الكواكب الأصلية لا تزول عن مستقرها و الكواكب و النجم يطلقان على الشهب كما يطلقان على الأجرام الأصلية، و قيل: تنفصل من الكواكب شهب تكون رجوما للشياطين أما الكواكب أنفسها فليست تزول إلا أن يريد الله إفناءها، و هذا الوجه أوفق للأنظار العلمية الحاضرة[٤٠]، اما عن طرد الشياطين فقد اكدت الآية ذلك ﴿ وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدًا ﴾ [سورة الجن: ٨ -٩]، قيل: الفلك اثنا عشر برجاً، كل برج ميلان ونصف. والظاهر أن الضمير في وزيناها عائد على البروج لأنها المحدث عنها، والأقرب في اللفظ. وقيل: على السماء، وهو قول الجمهور، وخص بالناظرين لأنها من المحسوسات التي لا تدرك إلا بنظر العين، ويجوز أن يكون من نظر القلب لما فيها من الزينة المعنوية، وهو ما فيها من حسن الحكم وبدائع الصنع وغرائب القدرة، والضمير في حفظناها عائد على السماء، ولذلك قال الجمهور: إن الضمير في وزيناها عائد على السماء حتى لا تختلف الضمائر، وحفظ السماء هو بالرجم بالشهب على ما تضمنته الأحاديث الصحاح قال رسول الله ﷺ:

(٤٠) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، (ج ١٩/ ص ٣٥١).

«إن الشياطين تقرب من السماء أفواجاً فينفرد المارد منها فيستمع، فيرمي بالشهاب فيقول لأصحابه. وهو يلتهب: إنه الأمر كذا وكذا، فتزيد الشياطين في ذلك ويلقون إلى الكهنة فيزيدون على الكلمة مائة كلمة» ونحو هذا الحديث، وقال ابن عباس: إن الشهب تخرج وتؤذي ولا تقتل، وقال الحسن: تقتل. وفي الأحاديث ما يدل على أنّ الرجم كان في الجاهلية ولكنه اشتد في وقت الإسلام، وحفظت السماء حفظاً تاماً، وعن ابن عباس: كانوا لا يحجبون عن السموات، فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات، فلما ولد محمدﷺ منعوا من السموات كلها[41]، واكد سبحانه على تزين السماء وحفظها في الآية ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [سورة الحجر: ١٦ -١٩]، إن فيهم من كان يصعد السماء فيسمع الوحي من الملائكة، فاذا نزل إلى الارض اغوى به شياطينه او ألقاه إلى الكهان، فيغوون به الخلق، فلما بعث الله تعالى نبيهﷺ منعهم من ذلك، وكان قبل البعثة لم يمنعهم من ذلك تغليظا في التكليف[42]، ويتكرر هذا المعنى في الآية المباركة ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [سورة الصافات: ٦-١٠].

الاهتداء بالنجوم:

ومن وظائف النجوم الاهتداء بها، فهي المعين له عندما تنقطع به السبل في جوف الليل المظلم، فبها يعرف اتجاه الطرق ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٩٧]، أي خلق «لكم» لنفعكم «النجوم

(٤١) تفسير البحر المحيط، (ج ٧/ ص ١٨٩).

(٤٢) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، (ج ٦/ ص ٣٢٠).

لتهتدوا بها» أي بضوئها و طلوعها و مواضعها « في ظلمات البر و البحر » لأن من النجوم ما يكون بين يدي الإنسان، و منها ما يكون خلفه، و منها ما يكون عن يمينه، و منها ما يكون عن يساره، و يهتدي بها في الأسفار، و في البلاد، و في القبلة، و أوقات الليل، و إلى الطرق في مسالك البراري و البحار، و قال البلخي ليس في قوله «لتهتدوا بها» ما يدل على أنه لم يخلقها لغير ذلك بل خلقها سبحانه لأمور جليلة عظيمة و من فكر في صغر الصغير منها و كبر الكبير و اختلاف مواقعها و مجاريها واتصالاتها و سيرها و ظهور منافع الشمس و القمر في نشوء الحيوان و النبات علم أن الأمر كذلك، و لو لم يخلقها إلا للاهتداء لما كان لخلقها صغارا و كبارا و اختلافاتها في المسير[٤٣]، ومن فضل الله على الناس ان جعل مواقع بعض النجوم دليلا لهم ﴿ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ [سورة النحل: ١٦]، فعن اسمعيل بن أبي زياد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن على بن ابي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (وبالنجم هم يهتدون) قال: هو الجدى لأنه نجم لا تزول وعليه بناء القبلة، وبه يهتدي أهل البر والبحر، و عن اسمعيل بن أبى زياد عن أبى عبدالله عليه السلام في قوله: (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) قال: ظاهر وباطن الجدى وعليه تبنى القبلة وبه يهتدي أهل البر[٤٤].

علم التنجيم:

اختلف العلماء في هذا العلم فطائفة تقول: إن علم النجوم ثبوتا أو في حد ذاته حق وهو (علم من علوم الأنبياء) وكان أمير المؤمنين أعلم الناس به، وأن إبراهيم الخليل عليه السلام استعمله كما تدل عليه ظاهر الآية ﴿ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ﴾ [سورة الصافات: ٨٨]، قيل أنه نظر في النجوم كنظرهم؛ لأنهم كانوا يتعاطون علم النجوم، فأوهمهم أنه يقول بمثل قولهم، فقال عند ذلك «إني سقيم»، فتركوه ظنا منهم أن نجمة يدل على

(٤٣) تفسير مجمع البيان، الطبرسي، (ج ٤/ ص ١٢٠).

(٤٤) تفسير العياشى، (ج ٢/ ص ٢٥٦).

سقمه، و يجوز أن يكون الله تعالى أعلمه بالوحي أنه سيسقمه في وقت مستقبل، و جعل العلامة على ذلك إما طلوع نجم على وجه مخصوص، أو اتصاله بآخر على وجه مخصوص فلما رأى إبراهيم تلك الأمارة قال «إني سقيم» تصديقا بما أخبره الله تعالى وقيل أن معناه نظر في النجوم نظر تفكر فاستدل بها[٤٥]، والطائفة الثانية تقول: بعدم جواز الأخذ من المنجمين إثباتا، يعني أن نتعلم منهم أو أن نستهدي بهم إطلاقا، ولذا يقول في بعضها: من صدقك فقد كذب بالقرآن أو أنه قد كذب بما نزل على محمدﷺ، فالمهم هو عدم جواز التصديق من هؤلاء سواء كان العلم الذي يتخذونه شعاراً لهم صادقا أو كاذبا، ولذا اشتهر: كذب المنجمون ولو صدقوا[٤٦]، وورد عن أبي عبد اللهعليه السلام قال له سائل: فما تقول في علم النجوم؟

قـــال: هو علم قلت منافعه وكثرت مضاره، لأنه لا يدفع به المقدور ولا يتقى به المحذور، إن خبر المنجم بالبلاء لم ينجه التحرز من القضاء، وان خبر هو بخير لم يستطع تعجيله، وان حدث به سوء لم يمكنه صرفه، والمنجم يضاد الله في علمه بزعمه أنه يرد قضاء الله عن خلقه، و عن سعيد بن جبير قال: استقبل أمير المؤمنينعليه السلام دهقان من دهاقين الفرس فقـــال له بعد التهنئة: يا أمير المؤمنين تناحست النجوم الطالعات، وتناحست السعـــود بالنحوس، وإذا كان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم الاختفاء، ويومك هذا يوم صعب قد انقلب فيه كوكبان، وانقدح من برجك النيران، وليس الحرب لك بمكان، قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ويحك يا دهقان المنبئ بالآثار، المحذر من الاقدار، ما قصة صاحب الميزان وقصة صاحب السرطان؟. وكم المطالع من الأسد والساعات في المحركات، وكم بين السراري والذراري؟. قال: سأنظر وأومئ بيده إلى كمه واخرج

(٤٥) ينظر: ما وراء الفقه محمد الصدر، (ج٣/ ص٦٣) و تفسير مجمع البيان، الطبرسي، (ج ٨/ ص ٢٧٩).
(٤٦) ينظر: ما وراء الفقه محمد الصدر(ج٣/ ص٦٣).

منه اسطرلابا ينظر فيه فتبسم صلوات الله عليه وقال: أتدري ما حدث البارحة؟. وقع بيت بالصين، وانفرج برج ماجين...)[٤٧]. ويمكننا القول بانه لعظيم قدر الانبياء والاوصياء فقد اختصهم الله بعلم التنجيم الحق، ففيه فائدة لهم، حتى ان الامام علي عرف الليلة المخصوصة لوفاته، فقد كان يكثر النظر في السماء.

ارتباط النجوم بالأحداث الزمنية:

ارتبط ذكر النجوم بتحديد اوقات العبادات وساعاتها، كالصلاة والحج ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾ [سورة الطور: ٤٩]، قال اكثر المفسرين ادبار النجوم يعنى الركعتين قبل صلاة الفجر، وذلك حين تدبر النجوم بضوء الصبح[٤٨]، ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٨٩]، وارتبطت النجوم بأهم حدث سيقع في الكون الا وهو وقت قيام الساعة، فسيصيب النجوم تغيرات عظيمة حين ينتهي عمر عالمنا الحالي ﴿ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴾ [سورة القيامة: ٨-٩] (وخسف القمر) أي ذهب نوره وضوؤه، (وجمع الشمس والقمر) جمع بينهما في ذهاب ضوئهما بالخسوف، ليتكامل ظلام الأرض على أهلها حتى يراها كل أحد بغير نور وضياء[٤٩]، وقال سبحانه في اية اخرى ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴾ [سورة التكوير: ١]، المقصود هو: خمود نور الشمس وذهابه، وتغيّر نظام تكوينها، وكما بات معلوماً... فالشمس في وضعها الحالي، عبارة عن كرة مشتعلة، على هيئة غازية ملتهبة، وتتفجر الغازات على سطحها بصورة شعلات هائلة محرقة، قد يصل إرتفاعها إلى مئات الآلاف من الكيلو مترات، ولو قُدّرَ وضع الكرة الأرضية وسط شعلة

(٤٧) نور الثقلين، الحويزي (ج٤/ ص٤٠٨).
(٤٨) زبدة البيان في احكام القران، المحقق الاردبيلي، (ص٦٢).
(٤٩) مجمع البيان الطبرسي: (ج١٠/ ١٩٤).

منها، فإنّها تستحيل فوراً إلى رماد وكتلة من الغازات، ولكن... عند حلول وقت نهاية العالم، والإقتراب من يوم القيامة، سيخمد ذلك اللهب المروع، وستجمع تلك الشعلات، فيطفأ نور الشمس، ويصغر حجمها... وهو ما أُشير إليه بالتكوير. وكورت الشمس: جمع ضوءها ولف كما تلف العمامة، وقد أيّد العلم الحديث هذه الحقيقة، من خلال اعتقاده وبعد دراسات علمية كثيرة، بأنّ الشمس تسير تدريجياً نحو الظلام والإنطفاء، ويأتي المشهد الثّاني: (وإذا النجوم انكدرت)، «انكدرت»: من (الإنكدار)، بمعنى السقوط والتناثر، واشتق من (الكدورة)، وهي السواد والظلام، ويمكن جمع المعنيين في الآية، لأنّ النجوم في يوم القيامة ستفقد إشعاعها وتتناثر وتسقط في هاوية الفناء، كما تشير إلى ذلك الآية (٢) من سورة الإنفطار: (وإذا الكواكب انتثرت)، والآية (٨) من سورة المرسلات[٥٠]، ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [سورة القمر: ١]، يعني: دنا قيام الساعة، لأن خروج النبيﷺ كان من علامات الساعة {وانشق القمر} وذلك أن أهل مكة سألوا رسول اللهﷺ علامة لنبوته، فانشق القمر نصفين. وروي عن عبد الله بن مسعودرضي الله عنه أنه قال: كنا مع رسول اللهﷺ: فانشق القمر نصفين، فرأيت حراء بين فلقتي القمر، أي: شقتي القمر. وعن جبير بن مطعم قال: انشق القمر ونحن مع رسول اللهﷺ بمكة. وروى قتادة، عن أنس قال: سأل أهل مكة رسول اللهﷺ آية فانشق القمر بمكة. وقال بعضهم: {اقتربت الساعة وانشق القمر} يعني: تقوم الساعة، وينشق القمر يوم القيامة. وأكثر المفسرين قالوا: إن هذا قد مضى، وقال عبد الله بن مسعود: ما وعد الله ورسوله من أشراط الساعة كلها قد مضى، إلا أربعة طلوع الشمس من مغربها، ودابة الأرض، وخروج الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج[٥١]، واكدت

(٥٠) تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، (ج ١٩/ ص ٤٤٦).

(٥١) بحر العلوم للسمرقندي، (ج ٤/ ص ٢١٨).

آيات اخرى ان علامات يوم القيامة تشمل النجوم والسماء والجبال ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [سورة المرسلات: ٨-١٠]، «فإذا النجوم طمست» أي محيت آثارها و أذهب نورها و أزيل ضوءها المرسلات، واستوت مع جرم السماء، أو عبر عن إلحاق ذواتها بالطمس، وهو انتثارها وانكدارها، أو أذهب نورها ثم انتثرت ممحوقة النور «و إذا السماء فرجت» أي شقت و صدعت فصار فيها فروج «و إذا الجبال نسفت» أي قلعت من مكانها كقوله سبحانه ينسفها ربي نسفا و قيل نسفت أذهبت بسرعة حتى لا يبقى لها أثر في الأرض[٥٢]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ -إلى قوله -أقتت» بيان لليوم الموعود الذي أخبر بوقوعه في قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾[٥٣]. ويتكرر هذا المعنى في الآية ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [سورة الانفطار: ١ -٢]، (إذا السماء انفطرت): انشقت. (وإذا الكواكب انتثرت): تساقطت متفرقة. (وإذا البحار فجرت): فتح بعضها إلى بعض، فصار الكل بحرا واحدا[٥٤]، إن هذا الإيحاء يتجه إلى خلع النفس من كل ما تركن إليه في هذا الوجود، إلا الله سبحانه خالق هذا الوجود، الباقي بعد أن يفنى كل موجود. والاتجاه بالقلب إلى الحقيقة الوحيدة الثابتة الدائمة التي لا تحول ولا تزول، ليجد عندها الأمان والاستقرار، في مواجهة الانقلاب والاضطراب والزلزلة والانهيار، في كل ما كان يعهده ثابتاً مستقراً منتظماً انتظاماً يوحي بالخلود!. ولا خلود إلا للخالق المعبود، ويذكر هنا من مظاهر الانقلاب انفطار السماء، أي انشقاقها. وقد ذكر انشقاق السماء في مواضع أخرى: قال في سورة الرحمن: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ وقال في سورة الحاقة: ﴿وَٱنشَقَّتِ

(٥٢) ينظر: تفسير البحر المحيط، (ج ١٠/ ص ٤١٣)و تفسير مجمع البيان، الطبرسي، (ج ١٠/ ص ٢٠٤).

(٥٣) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، (ج ٢٠/ ص ٨٢).

(٥٤) التفسير الأصفى، (ج ٤/ ص ١٨٥).

ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ وقال في سورة الانشقـــاق: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ... ﴾ فانشقاق السماء حقيقة من حقائق ذلك اليوم العصيب، أما المقصود بانشقاق السماء على وجه التحديد فيصعب القول به، كما يصعب القول عن هيئة الانشقاق التي تكون. . وكل ما يستقر في الحس هو مشهد التغير العنيف في هيئة الكون المنظور، وانتهاء نظامه هذا المعهود، وانفراط عقده، الذي يمسك به في هذا النظام الدقيق، ويشارك في تكوين هذا المشهد ما يذكر عن انتثار الكواكب. بعد تماسكها هذا الذي تجري معه في أفلاكها بسرعات هائلة مرعبة، وهي ممسكة في داخل مداراتها لا تتعداها، ولا تهيم على وجهها في هذا الفضاء الذي لا يعلم أحد له نهاية، ولو انتثرت كما سيقع لها يوم ينتهي أجلها وأفلتت من ذلك الرباط الوثيق غير المنظور الذي يشدها ويحفظها، لذهبت في الفضاء بدداً، كما تذهب الذرة التي تنفلت من عقالها، وتفجير البحار يحتمل أن يكون هو امتلاؤها وغمرها لليابسة وطغيانها على الأنهار[٥٥]. وذهب البعض الى انه حدث خلط بين ايام الله ومنها يوم القيامة وقيام الساعة ويوم الدين ويوم الفصل والايام الاخرى المذكورة في القران ولم يميز المفسرون بين تلك الايام وخصائصها واحوالها اذ زعموا انها اوصاف متعددة ليوم القيامة، فقد كشف المنهج اللفظي لتفسير القران ان هناك مرحلتين تحدثان للنظام الطبيعي: الاولى حوادث تحدث ضمن النظام الكوني الحالي أي قبل ان تقوم القيامة وهي من علامات اقتراب الساعة ومنها ارتجاج الارض وزلزالها قال تعالى ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ [سورة الزلزلة: ١ –٤] قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [سورة الحج: ١-٢]،

(٥٥) في ظلال القرآن، (ج ٧/ ص ٤٧٦).

ومنها انشقاق القمر كما في سورة القمر، ومنها ظلام الشمس والقمر قال تعالى ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ [سورة القيامة: ٧-٩]، اما المرحلة الثانية: حوادث تحدث لتغير النظام الى نظام جديد يتلاءم مع الوضع الجديد للقيامة والبعث والنشور وهي توافق النفخة الثانية التي يبعث فيها الخلائق ومن هذه الحوادث قوله تعالى ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ [سورة الواقعة: ١ -٦] قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف: ٤٧] ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ [سورة الحاقة: ١٣ -١٦]، ومن هذه الحوادث طي السماء كطي السجل وتبديل الارض غير الار ض والسماوات واشراق الارض بنور ربها، قال تعالى ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٤]، قال تعالى ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [سورة إبراهيم: ٤٨]، وبما ان هذه الحوادث من المرحلتين تأتي في السور وراء بعضها بدون فاصل ظن المفسرون انها كلها تحدث في يوم واحد وفي مرحلة واحده مع انه يفصل بين بعض حوادثها والبعض الاخر احقاب مديده وهذا يدعونا لوضع تسلسل زمني لأطوار المنتظرة للنظام الطبيعي والكوني شاملا لكل ما جاء في القر ان في اخر الزمان وفي يوم البعث والقيامة[٥٦]، ويمكننا القول انه وبغض النظر عن اشراط الساعة و مراحل يوم القيامة فان للكواكب والنجوم الدور الابرز في التغيرات التي ستحدث للعالم.

(٥٦) ينظر: النظام القرآني عالم سبيط النيلي(٢٨٣، ٢٨٨).

الخاتمـــة:

بعد المسيرة المباركة في آيات القرآن الكريم التي تخص النجوم والكواكب في هذا البحث يمكننا ان نخرج بجملة من النتائج:

١. يجب على الانسان التفكر فيا خلق الله سبحانه، فالتفكر في الخلق كفيل ببناء عقيدة راسخة مبنية على العلم لا على التقليد.

٢. لم يخلـــق الله سبحانه وتعالى أي شيء في الكون عبثا دون حكمة، فلكل شيء وظيفـــة ودور يقوم به، وان هذا الكون الفسيح خلق ليؤدي دورا في الحياة، وهو كسائر المخلوقات ولـــد في رحم السماء ونمى، حتى ملأت نجـومه عتمة الظلمة الفسيحة.

٣. الاسرار الكونيـــة تدعو وتحفز الانسان الى البحث المستمر لكشف التساؤلات التي تجول في صدر كل انسان رفع راسه الى السماء فأسره لمعان النجوم، وتمنى ان يعرف اسرار هذه الموجودات الكبيرة التي تسبح في ظلام دامس.

٤. عظمة الخلق لا تقتصر على كون المخلوق كبير الحجم كالنجوم بل ان صغيرها وكبيرها يدل على عظمة الخالق، وان من اعظم ما خلق سبحانه هو الانسان بدليل قول امير المؤمنين اتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر.

٥. تسخير الكواكب والنجوم يدل على منزلة الانسان الرفيعة عند الله سبحانه، وخير دليل على ذلك ما جاء في حديث الكساء.

٦. اشارت الآيات المباركة الى النظام الكوني الدقيق والمنتظم، وهذا يدفعنا الى ان نكون في غاية الدقة والنظام في حياتنا الدنيا فلا نهدر ايام حياتنا، بل علينا ان نعي ونفهم سبب وجودنا.

ملحق (صور تبين روعة خلق الله سبحانه)[٥٧].

(٥٧) الموسوعة الحرة ويكيبيديا https: // ar.wikipedia.org /wiki

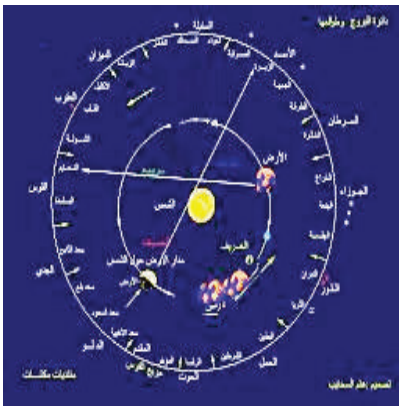

خلق السماوات والكون والمجرات والكواكب والنجوم والأرض
ثم قال ..

القوس
الجدي
العقرب
الدلو
الميزان
الحوت
الشمس
مدار الأرض
العذراء
الحمل
يناير
الأسد
الثور
السرطان
الجوزاء

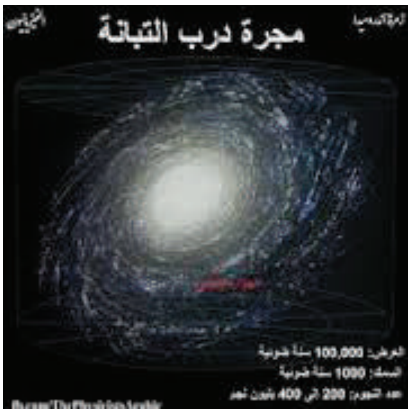
مجرة درب التبانة

المصادر والمراجع

القران الكريم.

١. الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، جمع وإعداد علي بن نايف الشحود.http: // shamela. ws / rep. php / book / 938

٢. الامثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل: الشَيخ نَاصِر مَكارم الشِيرازي الموقع الرسمي للمؤلف . http://: www. makaremshirazi .org /books /arabic .htm

٣. التبيان في أقسام القرآن: ابن القيم الجوزية، دار الفكر العربي، بيروت– لبنان، د –ط.

٤. التبيان في تفسير القرآن –الشيخ الطوسي التبيان في تفسير القرآن أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي .http://: www .u- of- islam .net /uofislam /maktaba /Qran .kotob .htm

٥. التحقيق في كلمات القرآن الكريم: الشيخ حسن المصطفوي، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ط (١): ١٤١٧.

٦. التفسير الأصفى: الفيض الكاشاني، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي الطبعة: الأولى: ١٤٢٠.

٧. التفسير الصافي: الفيض الكاشاني تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، مكتبة الصدر –طهران، الطبعة: الثانية١٤١٦:

٨. تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي تحقيق: تحقيق وتصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي: المكتبة العلمية الإسلامية– طهران.

٩. تفسير الميزان –العلامة الطباطبائي، جماعة مدرسي الحوزة، قم –ايران، د. ط.

١٠. التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي

http: // www. altafsir. com

١١. تفسير بحـــر العلوم: أبو الليث السمرقندي تحقيق: د. محمود مطر، دار الفكر، بيروت –لبنان، د –ط.

١٢. تفسير القــرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي تحقيق: ســامي بن محمد سلامة: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ –١٩٩٩ م.

١٣. تفسير نور الثقلين: الشيخ الحويزي تحقيــق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسســـــة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع –الطبعة: الرابعة قم –ايران: ١٤١٢.

١٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.

١٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير الطبري: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت– لبنان: ١٤١٥ –١٩٩٥ م.

١٦. جامــع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.

١٧. الجامع لأحكام القرآن القرطبي تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني دار إحياء التراث العربي –بيروت– لبنان: ١٩٨٥ م.

١٨. زبدة البيان في أحكام القرآن: المحقــق الأردبيلي تحقيق: محمد الباقر البهبودي: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية –طهران، د–ط.

١٩. في ظلال القرآن –ابراهيم بن حسين الشاربي، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط ١٧، ١٤١٧.

٢٠. القرآن وإعجازه العلمي –محمد اسماعيل ابراهيم القرآن وإعجازه العلمي: دار الفكر العربي، بيروت– لبنان، د –ط.

٢١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل المؤلف: الزمخشري: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر : ١٣٨٥ -١٩٦٦ م.

٢٢. ما وراء الفقه: السيد محمد الصدر المحبين للطباعة ايران -قم، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٧ -٢٠٠٧ م.

٢٣. مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي http: // www. altafsir. com .

٢٤. الموسوعة العلمية القرآنية -لبيب بيضون، مؤسسة الاعلمي، بيروت-لبنان، الطبعة الاولى ١٤٣٢-٢٠١١.

٢٥. النظام القرآني عالم سبيط النيلي، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة ١، ٢٠٠٦.

٢٦. ويكيبيديا الموسوعة الحرة https: // ar. wikipedia. org / wiki